العقيدة السليمة ودورها في حفظ الأمن

د. خالد بن ناصر الغامدي(*)

مقدمـــــة

في ظـل الأمـن والأمـان تحلو العبـادة، ويصـير النوم سـباتاً، والطعـام هنيئاً، والشراب مريئاً، الأمن والأمان، هما عماد كل جهد تنموي، وهدف مرتقب لكل المجتمعات على اختلاف مشاربها.

بـل هـو مطلب الشـعوب كافة بلا اسـتثناء، ويشـتد الأمر بخاصـة في المجتمعات المسـلمة، التـي إذا آمنت أمنت، وإذا أمنت نمـت؛ فانبثق عنها أمن وإيمان، إذ لا أمن بلا إيمان، ولا نماء بلا ضمانات واقعية ضد ما يعكر الصفو في أجواء الحياة اليومية التي يأمن فيها المرء على زوجه وأولاده وأرحامه.

إطراء الحياة الآمنة هو ديدن كل المنابر، لما للأمن من وقع في حس الناس، من حيث تعلقه بحرصهم على أنفسهم، فضلاً عن كونه هبة الله لعباده، ونعمة يغبط عليها كل من وهبها ولا غرو في ذلك.

وصـف القـرآن أقدس مكان في العالم، وهو الكعبـة، بالأمن، فقال في محكم كتابه: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً﴿١٢٥﴾﴾ (البقرة)، وعبّر عن مكّة بأنّها حرم آمن، فقالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا ﴿٦٧﴾﴾ (العنكبوت). وكذلك منَّ بالأمن، بوصفه هبـة إلهيّـة، على من دخل هذا الحرم المقـدّس، فقال: ﴿وَمَن دَخَلَـهُ كَانَ آمِنًا﴿٩٧﴾﴾ (آل عمران).

هذا الأمن؛ لأن بقايا بقيت لقريش من دين التوحيد الذي ورثوه عن إبراهيم، فكأن الله يذكرنا بأن أساس الأمن هو التوحيد والعقيدة السليمة، إذ بتحققها يسعد المجتمع في الدنيا والأخرى في الدنيا بالتمكين في الأرض والأمن والسعادة، وفي الأخرى بالنجاة من النار ودخول الجنة.

(*) عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة.

تمهيد

تتعـرض المجتمعات المحيطـة بنا لمتغيرات كبيرة نظراً لسرعة وسـائل الاتصال في نقـل الأخبـار والأفـكار والعوائـد، ومجتمعنا ما هـو إلا جزء من هذا العـالم –بل هو في قلـب الحـدث دومـاً– لأهميته لدى العالم الإسـلامي والعالم أجمع، ومـن هذه التغيرات التـي تطـرأ ما له علاقة بالأمن سـواء في الأفـكار أو الأخلاق أو السـلوك أو العادات، وكل ذلك له علاقة باستقرار الأمن من عدمه، ومن أكبر ذلك ما يسمى حرب الأفكار وهي الأفكار الدخيلة على ديننا وبلدنا وعاداتنا الاجتماعية الحسنة التي أكد عليها الدين وأقرتها الشريعة السمحة. والمعاناة هنا تكون من جهتين من جهة الغلو والتشدد، ومن جهة الانحلال الفكري والأخلاقي وعدم الإيمان بعقيدة صحيحة، ولأهمية هذا الأمر في حياتنا ولأثره الفاعل في أمننا أحببنا تسليط الضوء على أثر سلامة الاعتقاد وصحته في الحفاظ على الأمن واستقرار المجتمع الإسلامي وتطوره نحو المعالي وضعت هذا الجهد القليل لعلنا نسهم في شيء مما ينشده مجتمعنا العربي والإسلامي.

وفي الـكلام عنـد المقدمات وما جرى على عادة الباحثين سـننوه على بعض الأمور الهامة لعلها تكون كاشفةً لمن يطلع عليه، وقد تكون البحث من الأقسام التالية:

ـ مفردات العنوان: العقيدة، السليمة، الأمن

ـ منزلة الأمن في الإسلام

ـ وسطية دين الإسلام في الدين والعقيدة والمعاملة

ـ فساد العقيدة وأثره في اضطراب الأمن

ـ أثر العقيدة السليمة في رسوخ الأمن

ـ بعض التدابير الفاعلة لتحقيق الأمن والدين

ـ الخاتمة

وفيها تلخيص لأهم ما ورد فيه في نقاط عدة

مفردات العنوان: العقيدة ، السليمة ، الأمن

عنـد تعريف العقيدة لغوياً نجد أن المعاجم وضعت هذا اللفظ في صفحات كثيرة يصعـب حصرهـا ولكنهـا في جملتها تدل عـلى أن هذا اللفظ يدل عـلى أن: العَقْد نقيض الحَلِّ عَقَدَه يَعْقِدُه عَقْداً ، والعُقْدَةُ حَجْمُ العَقْد والجمع عُقَد وخيوط معقَّدة شدّد للكثرة ويقـال عقـدت الحبل فهو معقـود وكذلك العهد ومنه عُقْدَةُ النـكاح وانعقَدَ عَقْدُ الحبل انعقـاداً وموضـع العقد مـن الحبل مَعْقِدٌ وعَقَـدْتُ الحبْلَ والبيع والعهـد فانعقد والعَقْد العهـد والجمـع عُقود وهي أوكد العُهـود[1] ، وهذا العقد الإيماني بـالله وملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخر والقدر هو الذي ينعقد عليه القلب مع الرب فلا انفكاك للعقيدة التـي يعتنقها الإنسـان ، ودلالة اللفظ على الفعل الإيـماني دلالة جلية واضحة من العقد والربط الوثيق الذي لا انفكاك عنه.

أما قولنا السليمة فيعود إلى العقيدة ومعنى «سليمة» أي سالمة من كل ما ينتقص منهـا ، وقـد ذكر أهل التفسـير عند قوله تعـالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَـى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ﴿٨٩﴾﴾ (الشـعراء)، وقوله عن سـيدنا إبراهيم عليه السـلام : ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴿٨٤﴾﴾ (الصافات).

أن القلب السليم هو الخالص لله النقي والسالم من شبهات الكفر والشك والنفاق ، وقال سعيد بن المسيب : القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن ؛ لأن قلب الكافر والمنافق مريض ، وقال أبو عثمان النيسابوري : هو القلب الخالي من البدعة المطمئن على السنة[2].

وبنـاء عليـه فالعقيدة الصحيحة السـليمة هي: الموافقة لمنهـج الله ومنهج أنبيائه في الإيمان والعمل ، وهي التي دلت عليها أدلة الشرع والعقل.

---

(١) انظر لسان العرب ٣/ ٢٩٦ ، القاموس المحيط ، ص ٣٨٣ ، مختار الصحاح ، ص ٤٦٧

(٢) انظر تفسير الطبري ٩/ ٤٣٥ ، و ابن كثير ٣/ ٤٥١ ، والبغوي ١/ ١١٩ ، و الدر المنثور ٧ / ١٠٠.

أما لفظ الأمن فدلالته جليه لا يجهلها أحد ، قال الجوهري في الصحاح : «(أَمِنَ) منه الأمان والأمانة بمعنى ، وقد أَمِنْتُ فأنا آمن ، وآمنت غيري من الأمن والأمان. والأمن ضد الخوف . والأَمَنَةُ ، بالتحريك، : الأمن ، ومنه قوله تعالى:﴿أمنة نعاسا﴿١٥٤﴾﴾ (سورة آل عمران) ، واستأمن إليه ، أي دخل في أمانه . وقوله تعالى ﴿وهذا البلد الأمين﴿٤﴾﴾ (التين)، قال الأخفش :«الآمن وهو من الأمن.» وقد يقال : الأمين : المأمون»[1]

والأمن في عرف الناس : هو اطمئنان النفس وزوال الخوف ، ومنه قوله تعالى: ﴿وآمنهم من خوف﴿٤﴾﴾ (قريش)، ومنه الإيمان والأمانة ، وضده الخوف . ووقع من أسمائه الحسنى المؤمن في قوله تعالى: ﴿المؤمن المهيمن العزيز﴿٢٢﴾﴾ (الحشر)، ومعناه أنه هو المعطي الأمان لعباده المؤمنين حين يؤمنهم من العذاب في الدنيا والآخرة .

وأطلق الرب تعالى لفظ المؤمن والمؤمنين على من آمن به وصدق بألوهيته مكافأة لهم في الدنيا والآخرة.

منزلة الأمن في الإسلام

مما لا شك فيه أن أي دعوة أو دولة عند نشر رسالتها أو اعتناق بعض الناس لفكرتها أو مبادئها تسعى أولاً لترسيخ الأمن لأهميته في تحقيق ما تصبو إليه من أهداف ، وما تتطلع إليه من آمال ، ويمكن اعتبار الأمن من أهم أسس ومقومات المجتمع المتحضر، وفي القرآن الكريم بين الله عز وجل أنه منّ على أهل مكة بهذه المنّة العظيمة ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴿٤﴾﴾ (قريش)، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴿٦٧﴾﴾ (العنكبوت).

فجعل لهم هذا الحرم الآمن في الوقت الذي كان الناس يُتخطفون من حولهم، بالفتن والحروب والمجاعات ، ومن أجل ذلك نما المجتمع المكي ونمت تجارتهم، فكانت لهم رحلتا الشتاء إلى بلاد اليمن والصيف إلى بلاد الشام .

إن شر البلاد بلد لا أمن فيه ، فإذا انتشر الأمن بين الناس زادت الحركة الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع وعلت سياسة دولته بين الدول ، ولا رفاهية لشعب إلا بالأمن،

(١) انظر الصحاح للجوهري: أَمِنَ.

كما أن الإسلام ينظر إلى الأمن على أنه من أهم الأهداف الإنسانية التي يوفق الله بها عباده الصالحين كي ينالوا رضاه ويفوزوا بجنته ، ولقد جاءت شريعة الإسلام بحسم مادة الأمن،حسماً جازماً واضحاً لا مرية فيه فقد قال رسول الله ﷺ : «إذا مر أحدكم في مسجدنا أو في سوقنا ومعه نبل فليمسك على نصالها» أو قال:«فليقبض بكفه أن يصيب أحداً من المسلمين منها بشيء »[1] ، وفي الصحيحين : «من حمل علينا السلاح فليس منا»[2] وفي الصحيحين أيضا : «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3]

وما هذه الأوامر النبوية إلا لحشد السلام والأمن الاجتماعي ، فالفرد مطالب في سوقه ومسجده ومدرسته ومكان عمله بكف أي نوع من أنواع الأذى حين يختلط بالغير، لاسيما إن كان الأذى يلامس الآخرين ويؤذيهم في مكتسباتهم العامة والخاصة، بل شدد في الأمر إلى من حمل السلاح في المجتمع الإسلامي فليس منه ؛ لبيان خطورة ما فعل وجسامة ما اقترف ، وتلحق الشفافية والأمن الاجتماعي ، حتى الألفاظ ، فمن سب أخاه فقد تجاوز الحد ودخل في حد الفسق ، وهي منزلة يتبرأ منها كل أحد.

ومن البديهي أن الدين قد أزال الخوف الذي كانت تعيشه الكثير من المجتمعات التي لم تعرف الإسلام ولذا عدها الله منة منه على عباده الذي عبدوه واستسلموا لأمره تعالى ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴿٢٦﴾﴾ (الأنفال)، فنعمةُ الأمن من نعَم الله حقًّا، حقيقٌ بأن تُذكَر ويذكَّر بها وأن يُحافَظ عليها.

ويحذرنا الرب تعالى من التفريط في الدين وترك الأسباب المؤدية إلى الأمن والسلام الاجتماعي ، وسلوك الأسباب المفضية إلى ما يضاد ذلك الأمن ، وهي أفعال الفسق والشرك والكفر والفساد الأخلاقي:﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٥٩٢ ، رقم: ٦٦٦٤ ، ومسلم ٤/ ٢٠١٩ ، رقم: ٢٦١٥
(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٥٢٠ ، رقم: ٦٤٨٠ ، ومسلم ١/ ٩٨ ، رقم: ١٦١
(٣) رواه البخاري ١/ ١٩ ، رقم: ٤٨ ، ومسلم ١/ ٥٧ ، رقم: ٢٣٠

يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (النحل).

كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان، فكفرت ، فأبدلهم الله أمنهم خوفاً ورِزْقَهُمُ الرغيد جوعاً وذلك بأسباب من أنفسهم ومن أفعالهم الشنيعة المضادة لأوامر الله تعالى ، قال القرطبي رحمه الله: « سَّمى الله الجوعَ والخوفَ لباسًا ؛ لأنه يظهر عليهم من الهُزال وشحوبةِ اللون وسوءِ الحال ما هو كاللباس»[1]

وإذا اختلَّ الأمُن تبدَّل الحالُ، ولم يهنأ أحدٌ براحة بال، فيلحقُ الناسَ الفزعُ في عبادتهم، فتُهجَر المساجد ويمنَع المسلم من إظهار شعائر دينه، قال تعالى :﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلاَّ ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴿٨٣﴾﴾(يونس)، وتُعاق سُبُلُ الدين ، وينضَب وُصول الخير إلى الآخرين، وينقطع تحصيلُ العلم وملازمة العلماء، ولا توصَل الأرحام، ويئنُّ المريض فلا دواءَ ولا طبيب، وتختلُّ المعايش، وتهجَر الديار، وتفارَق الأوطان، وتتفرَّق الأسَر، وتنقَضُ عهودٌ ومواثيق، وتبور التجارة، ويتعسَّر طلبُ الرزق، وتتبدَّل طباعُ الخَلق، فيظهرُ الكَذِب ويُلقَى الشحّ ويبادَر إلى تصديق الخبَر المخوف وتكذيب خبر الأمن.

باختلال الأمن تُقتَل نفوسٌ بريئة، وترمَّل نساء، ويُيتَّم أطفال. إذا سُلبت نعمةُ الأمن فشا الجهلُ وشاع الظلم وسلبتِ الممتلكات، والخوفُ يجلِب الغمَّ، وهو قرين الحزن، قال جل وعلا: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴿٤٠﴾﴾ (التوبة)، يقول معاوية رضي الله عنه: « إيّاكم والفتنةَ، فلا تهمّوا بها، فإنها تفسِد المعيشةَ، وتكدِّر النِّعمة، وتورثُ الاستئصال»[2]

ولو قلَّبتَ البصرَ في الآفاق لوجدتَ الأمنَ ضرورةً في كلّ شأن، ولن تصلَ إلى غايةِ كمالِ أمرٍ إلا بالأمن، بل لن تجدَ مجتمعًا ناهضًا وحبالُ الخوف تهزّ كيانَه.

(١) الجامع لأحكام القرآن ١٠/ ١٩٤.
(٢) انظر: سير أعلام النبلاء ٣/ ١٤٨-١٤٩.

إن مفهوم الأمن مفهوم واسع ، وليس مقتصراً على مفهوم حماية المجتمع من السرقة أو النهب أو القتل ونحوه ، بل الأمن مفهوم أعم من ذلك كله ، وأول وأعظم مفهوم للأمن هو الحفاظ على العقيدة السليمة الصحيحة الخالية من الزيغ والشبهات والتحريفات ، والتي تؤدي إلى ارتباط المسلم بربه ارتباطاً وثيقاً ، هذا هو أول الواجبات الأمنية التي يتحقق بها الوازع الديني المانع من كل الممارسات الخاطئة التي تنسب إلى الشريعة الإسلامية وتعاليمها .

وسطية دين الإسلام في الاعتقاد والشرع والمعاملة

من الأهمية بمكان القول بتميز الأمة الإسلامية بخاصية منفردة لم تكن لأمة من الأمم السابقة وهي ميزة الوسطية التي جعلها الله ـ سبحانه وتعالى ـ خصيصة لأمة محمد ﷺ في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴿١٤٣﴾﴾ (البقرة)، ويبين الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴿١٤٣﴾﴾ (البقرة) أي إنما حولناكم إلى قبلة إبراهيم عليه السلام واخترناها لكم لنجعلكم خيار الأمم ، لتكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم لأن الجميع معترفون لكم بالفضل ، والوسط هنا الخيار والأجود . . . ولما جعل الله هذه الأمة وسطا خصها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج وأوضح المذاهب[1] ويعمم الإسلام هذه الوسطية في شتى مناحي الحياة في اللباس والطعام وما شاكل ذلك قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴿٦﴾﴾ (فصلت).

وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ يقول: «لا تشددوا على أنفسكم ، فيشدد عليكم ، فإن قوما شددوا على أنفسهم فشدد عليهم..»[2]

وعند أبي داود في السنن بسند جيد: أن وفد عامر بن صعصعة وفدوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، فجلسوا عنده، فقالوا: أنت سيدنا، وابن سيدنا، وأفضلنا فضلاً،

(١) تفسير القرآن العظيم ، ١/ ١٨١

(٢) رواه أبو داود ٢/ ٦٩٣ ، رقم: ٤٩٠٤ ، وضعفه الألباني بهامشه ، وأبو يعلى في المسند ٦/ ٣٦٥ ، رقم: ٣٦٩٤ وقال محققه حسين سليم أسد: حديث حسن.

وأطولنا طولاً، وكذا وكذا، فغضب عليه الصلاة والسلام، وقال: «يا أيها الناس، قولوا بقولكم، أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان»[١]

خاف أن يطروه فيرفعوه عن منزلته، لأنه بشر قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴿١٠﴾﴾(التوبة)، بشر يأكل ويشرب، وينزل السوق ﴿وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴿٧﴾﴾ (الفرقان)، فهو بشر كسائر البشر يأكل ويشرب وينام ويحزن ويفرح ويمرض، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يخبرهم أنه بشر.

وفي حديث آخر أنه جاءه أعرابي من الصحراء، قال: يا رسول الله! جاع العيال، وضاع المال، وانقطع الغيث، فاستسق لنا الله، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، فقال عليه الصلاة والسلام: «سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! ويحك! ويلك! أجعلتني لله نداً إن الله أعظم من ذلك إن شأن الله عظيم، إنه لا يستشفع به على أحد من خلقه»[٢]، فصوبه في قوله: نستشفع بك على الله وهو حي، وخطأه في قوله: ونستشفع بالله عليك؛ لأنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه، لأن الله أعظم وأكرم وأجل، وقطع عليه الصلاة والسلام الطرق الموصلة إلى الشرك أو تسهيله أو إلى إماتة التوحيد في القلوب.

فالإسلام منهج وسط في كل شيء، في التصور والاعتقاد والتعبد والتنسك والأخلاق والسلوك والمعاملة والتشريع، وينهى عما جانب ذلك.

والنصوص الشرعية تدعو إلى الاعتدال وتحذر من التطرف، وتعبر عنه بعدة ألفاظ منها: الغلو والتنطع والتشديد، ومن خلال تلك النصوص أصبح من الواضح الجلي أن الإسلام ينفر أشد النفور من هذا الغلو ويحذر منه أشد التحذير. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ (المائدة)، وقال تعالى:

---

(٣) رواه أبو داود ٢/ ٦٦٩، رقم: ٤٨٠٦، وصححه الألباني، والبخاري في الأدب المفرد ١/ ٨٣، رقم: ٢١١، وصححه الألباني بهامشه

(٢) رواه أبو عوانة في المسند ٢/ ١٢١، رقم: ٢٥١٧.

﴿يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴿١٧١﴾﴾ (النساء).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من قبلكم بالغلو في الدين »[1]

وقد فسر الغلو بمجاوزة الحد وهو عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والعبادات والأعمال. فعن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: « هلك المتنطعون، قالها ثلاثا»[2]، أي المتعمقون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

وقد اتضح من النصوص الشرعية المذكورة وغيرها أن وسطية الإسلام في العقيدة، وسطية في الأخلاق والسلوك، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴿٦٧﴾﴾ (الفرقان)، وسطية في التشريع، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (النحل)، وسطية في العبادات، وكانت قصة نهي رسول الله ﷺ ثلاثة من أصحابه عن الغلو في العبادة مشهورة، ظناً منهم أن أفضلية العبادة وعظم ثوابها لا تحصل إلا بالمشقة البالغة وحرمان أنفسهم من طيبات الدنيا، وقد صحح النبي ﷺ فهمهم الخاطئ وأرشدهم منهج وسطية العبادة في الإسلام. فكمال الوسطية أو وسطية الكمال قد وضع الله سبحانه وتعالى لها منهجاً ربانياً شاملاً وسعى رسول الله ﷺ في حياته وسيرته إلى التطبيق الكامل لهذه الوسطية، فهذه الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية بمفهومها الإسلامي المتمثل في لغة القرآن ومعانيه ومواقفه، كما أورده القرآن الكريم وطبقه رسوله الكريم ﷺ، فهي تختلف تمام الاختلاف عن مفهوم الوسطية عند غير المسلمين. فالوسطية الإسلامية لا تهدف إلى الجمع بين المتضادين أو المتعارضين أو التوسط بين النقيضين أو إرضاء الطرفين واتخاذ موقف محايد، وإنما الهدف من الوسطية الإسلامية هو الوصول إلى الحق.

وسطية تدعو إلى إقامة النظم الاجتماعية العادلة المتوازنة والشورى والعدالة الاجتماعية، ومحاربة الاستبداد، وترى الوسطية أن المفهوم الأساس للوسطية الإسلامية

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده، حديث رقم (١٨٥١)، صححه ابن حبان (٣٨٧١) والحاكم في المستدرك ١ / ٤٦٦

(٢) أخرجه مسلم ٨/ ٥٨ : حديث رقم ٦٩٥٥.

والتوازن هو تحقيق المساواة والعدالة ، فلا وسطية ولا توازن إلا بالعدالة ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴿٨﴾﴾ (المائدة).

ويقول تعالى :﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴿٢﴾﴾ (المائدة)، ويقول تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴿٩٠﴾﴾ (النحل).

ويقول تعالى :﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴿٩﴾﴾ (الرحمن).

وسطية تدعو إلى الوحدة ونبذ الخلافات وإجراء الحوارات وتقوية التبادل ، وتبين أن النزاعات الداخلية قد أضعفت بكثير قوة الأمة الإسلامية وعرقلت تطورها وتقدمها ، وإن تقوية الوحدة وتعزيز العلاقة أصبحت حاجة ماسة وواجبة للأمم ، وليس في استطاعة الأمة أن تجابه تحديات العصر والعولمة إلاّ بالاتحاد والتعاون ، فالوسطية الإسلامية تهدف إلى تنمية الوحدة والتعاون بين شعوب العالم الإسلامي انطلاقا من مبدأ « إنما المؤمنون إخوة « ، لإجراء الحوارات فيما بينهم لتقوية التعاون وتعزيز العلاقة بينها .

وسطية تدعو إلى إجراء الحوارات لتقريب التفاهم والتعارف ـ وليس بالضرورة أن تتفق من كل وجه وأنى يكون ذلك ـ بل تؤكد أهمية احترام الآخر ، والإشادة بالحوار النافع من خصائص الحضارة الإسلامية التاريخية ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴿١٣﴾﴾ (الحجرات). ويدعو القرآن الكريم إلى إجراء الحوار مع أهل الكتاب ، يقول تعالى : ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (آل عمران). ويقول تعالى في الشأن ذاته :﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴿٤٦﴾﴾ (العنكبوت)، فسبيل المسلمين الحوار ـ مع من يستحقه ـ والنقاش الهادئ الإيجابي الذي يقرب وجهات النظر ويكشف الشبه ويقلل الأحقاد ويحيد الناقمين أو الملتبس عليهم دينهم.

فساد العقيدة وأثره في اضطراب الأمن

يحدثنا التاريخ والواقع أن انحراف العقيدة والإيمان مهما كان قليلاً فإنه قد تكون له عواقب وخيمة على الدولة والمجتمع لاسيما إن سكت المجتمع فترة من الزمن على هذه الانحرافات ولم يعالجها في حينها ولم يتتبع أثر من استعلن بها ودعا إليها ومارسها على وجه الدعوة إليها والتحريض على اعتناقها إلى أن ظهرت العواقب الوخيمة لتلك الأفكار الفاسدة المفسدة في الوقت نفسه ، ومن أكبر أسباب فساد العقيدة التنطع والغلو في فهم النصوص الشرعية ، وقصر الإدراك العقلي عن فهمها وفق المقاصد العامة للدين، وعلى رأس ذلك ما يسمى قديماً ـ وفق المصطلح الشرعي ـ «الغلو» ويسمى حالياً بـ «التطرف»، وعلى العكس من ذلك الغلو في الانحلال الديني والوصول إلى الإلحاد والزندقة.

وقد قدمنا آنفاً في الفصول السابقة أن الإسلام نهى عن الغلو والتنطع والتشدد في الدين بلا موجب لذلك ، لا من حيث العقل ولا من حيث الشرع ، وقد روى أهل الحديث والتاريخ أن قوماً من المسلمين في أواخر عهد الخلفاء الراشدين غلوا في شقين متباعدين ، الطرف الأول خرج على الجماعة وقاتل المسلمين واستحل دماءهم وأموالهم وأعراضهم، بل زاد شططاً وقاتل كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وكان من أشهرهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهما ـ وقد أخبر النبي ﷺ عنهم في حياته وكانت نقطة انطلاقهم بعد موته ، وقد ثبت في البخاري وغيره عن ابن أبي نعم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

بعث علي رضي الله عنه إلى النبي ﷺ بذهبية فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي ثم المجاشعي وعيينة بن بدر الفزاري وزيد الطائي ثم أحد بني نبهان وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب فغضبت قريش والأنصار قالوا يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا قال « إنما أتألفهم » . فأقبل رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناتئ الجبين كث اللحية محلوق فقال اتق الله يا محمد فقال «من يطع الله إذا عصيت ؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنونني» . فسأل رجل قتله ـ أحسبه خالد بن الوليد ـ فمنعه فلما ولى قال «إن من ضئضئ هذا أو في عقب هذا قوم يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»[1]

(١) رواه البخاري ٣/ ١٢١٣ ، رقم: ٣١٦٦ ، مسلم ٢/ ٧٤١ ، رقم: ١٤٣

فالاعتراض الأول كان في عهد الرسول المعصوم، نظراً للغلو الذي تعلق به هؤلاء، فرأوا أنهم هم الأعلم والأدرى بنصوص الشريعة أكثر من صاحب الشريعة وأكثر من أهل العلم بعده، ثم ظهرت بوادر الخروج في عهد الخليفة الثالث عثمان (رضي الله عنه) حيث خرجوا عليه وحاصروه داخل بيته وقتلوه وهو صائم[١]، ثم تحصنوا في معسكر علي (رضي الله عنه) وخرجوا عليه وأثاروا الشغب حوله ثم تحصنوا في بعض البلدان، وقاتلوا المسلمين، وفي نهاية المطاف لما قاتلهم علي قتلوه وقتلوا جملة من أخيار الناس[٢]، كل ذلك وما جرى بعده من أحداث جسام قتل فيها الآلاف بسبب فساد الاعتقاد والدخول في باب الغلو المنهي عنه.

ومن ثم قابل هذا الغلو في بغض الصحابة وآل البيت طرف آخر غالى في بغض الصحابة وتقديس آل البيت ورفعهم فوق منزلتهم البشرية، وذلك في الطرف الآخر المقابل للخوارج، وهم غلاة الباطنية الذي أسس مذهبهم في عهد علي (رضي الله عنه) حيث زعم ابن سبأ[٣] ـ وهو يهودي أظهر الإسلام ـ أن علياً هو الرب، وأنه المدبر الخالق وأن الرعد صوته والبرق سوطه[٤].

حتى اضطر علي أن يطهر معسكره الإسلامي منهم ويقتلهم مما زادهم يقينا وعلى رأسهم ابن سبأ أنه الله بالفعل وإلا لما عذبهم بالنار، وقال قولته المشهورة:

لما رأيت الأمر أمراً منكرا أججت ناراً ودعوت قنبرا[٥]

(١) انظر البداية والنهاية ٧/ ١٧٠، ١٨٣، تاريخ الخلفاء ١/ ١٤٠، تاريخ الطبري ٢/ ٦٧٨، ٦٨٩

(٢) انظر المنتظم لابن الجوزي ١٠/ ٢٤٢، تاريخ الإسلام للذهبي ١/ ٤٧٧، البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٣١، ٢٩٨، ٣٠٤

(٣) اختلف الناس حول شخصية ابن سبأ هل هو خيال من نسج بعض المؤرخين أم حقيقة فرضت بعض المعتقدات الزائفة، وأغلب العلماء من السنة والشيعة على أنه حقيقة، وقد ألف في ذلك رسالة علمية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عنوانها: (ابن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام) للدكتور سليمان العودة، أثبت فيها من أوجه كثيرة أنه شخصية تاريخية ثابتة لها أثرها الفاعل في عقائد بعض الفرق.

(٤) انظر الوافي بالوفيات، ص ٢٣٩٣، تاريخ ابن خلدون، ص ٢٤٦

(٥) انظر تاريخ الإسلام ١/ ٤٨٨

واستأصل خضراءهم ولكن بقي منهم عبر التاريخ طرف لا يزال يثير الفتن والأحقاد والضغائن ويقوم في بعض الأزمان بالقتل الطائفي مستغلاً الجهل وفساد الاعتقاد لدى بعض الأتباع... والله المستعان، وقد سطر المؤرخون قديماً وحديثاً أفعال هذه الفرق الغالية كأخبار الخوارج ومن قابلهم من الباطنية من المؤرخين القدامى - ككتاب فضائح الباطنية للغزالي وغيره - وحتى مؤرخي الوقت الحاضر، ولولا الإطالة والمقام يقتضي الاختصار لأسهبنا في إيراد الفضائع التي اقترفتها تلك الفرق المغالية وحسبنا هنا التذكير بها والإلماع بذكر طرف من أخبارها ومما تجدر الإشارة إليه أن الله قد طهر الأمة من فتنة الخوارج والباطنية ولكن أفكار هاتين الطائفتين الغاليتين المبتدعتين في الدين لا تزال تتسلل إلى بعض الفرق والجماعات التي تترجم ذلك إلى أعمال عنف وإرهاب ضد المجتمعات المسالمة البريئة من همجية أفعال هذه الأفكار الفاسدة، ولن أضرب المثال على ذلك، فالواقع المعيش والأحداث التي شاهدها المجتمع المسلم من الشرق إلى الغرب أكبر دليل على أن فساد الاعتقاد - لاسيما تجاه الغلو - في التبديع والتفسيق والتكفير وتحزيب الأمة الواحدة والمجتمع الواحد لأكبر دليل على أن فساد العقيدة بالشبهات لهي أكبر أثر على زوال الأمن وكثرة الاضطراب وتزعزع ثوابت الأمة وأمنها وشريعتها، ومن هنا وجب على أهل العلم وأهل الصلاح والفقه والإصلاح وقوى المجتمع الأهلية والرسمية معالجة أية ظاهرة تطرأ في الوقت والحين دون تأخير أو تسويف، وقد أخرت بعض المجتمعات معالجة آثار الغلو فاكتوت بناره واصطلت بجحيمه وسلخت على سفود أحقاده، ولم تستفق إلا على هول المصيبة وفداحة الكارثة.

أثر العقيدة السليمة في رسوخ الأمن

تكلمنا في فصول سابقة على مسألة أهمية الأمن في الإسلام والمجتمع، ومسألة وسطية الإسلام في عقائده وشرائعه وأفكاره الواقعية المناسبة لكل زمان ومكان، وكذا مسألة أثر فساد العقيدة أو بعض منها في اضطراب الأمن وتخلخل المجتمعات، وفي هذا الفصل نتناول أثر المعتقد الحق في رسوخ الأمن وعموم الرخاء في المجتمعات.

حدثنا القرآن يوم بدر أنه وقع للمسلمين فتنة عظمى وكارثة كبرى توشك أن تأتي على المجتمع الإسلامي الناشئ، تبيد خضراءه وتستأصل شأفته، ولا تبقي

لـه إلا مجرد ذكر ، وذلك أنهم قابلوا جيشـاً عظيـماً يبلغ أضعافهم في العدد والعدة ، ومع كل المعطيـات الماديـة التـي تدل على هزيمة الجانب الأضعـف والأقل إلا أن النصر كان حليفه: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّن السَّمَاء مَاء لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُـمْ رِجْزَ الشَّـيْطَانِ وَلِيَرْبِـطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْـدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلآئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرَّعْبَ فَاضْرِبُواْ فَوْقَ الأَعْنَـاقِ وَاضْرِبُـواْ مِنْهُـمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ (الأنفال)، إذ الخوف كاد يسـيطر على قلوب المؤمنين لقلة عددهم وعدتهم وعتادهم أمام استعدادات وعدد وقوة المشركين ، فأرسل عليهم النعاس لينسـيهم ما هم فيه من الخوف ولتستريح أحاسيسهم استعداداً للمعركة التي لن يخوضوها وحدهم ، بل جند الله وعناية الله تحيط بهم وتنصرهم .

والسـؤال الذي يفرض نفسـه ههنا ، لماذا الأمن الكبير المنزل من السـماء والتدخل الإلهي لإثباته في قلوبهم؟ وتغيير الأشياء إلى شئ عكسها؟ وجوابه بلا ريب ولا مواربة هو قضية الإيمان التي رسخت في قلوبهم وسيطرت على أرواحهم فكافأهم الله بهذا الأمن الإلهـي في الدنيـا وفي الآخرة أمنهم أعظم وأعظم ، وقد قال سـبحانه: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴿٨٢﴾﴾ (الأنعام).

وقد ذكر أهل التفسير أن الذين يستحقون الأمن هم المؤمنون الذي لم يلبسوا إيمانهم بفساد عقيدة كشرك أو كفر أو ما شابه ذلك[١]

ولما سُئل النبي ﷺ من أصحابه وقد أشفقوا من أن يكونوا قد هلكوا فقالوا: «أينا لم يظلم نفسه فأنزل الله (إن الشرك لظلم عظيم) فطابت أنفسهم»[٢]

فأمنهم الله تعالى بسبب نقاء عقيدتهم وصفاء مشربهم الإيماني وهذه أعظم مكافآت الرحمن لمن أخلص له الإيمان ، ولقي ربه بعقيدة سليمة صحيحة .

وقد ثبت عن خباب قال شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد برده في ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر لنا الله عز وجل أو ألا يعنى تستنصر لنا فقال : قد كان الرجل فيمن كان

(١) انظر تفسير ابن كثير ٣/ ٥٨٦ ، القرطبي ٧/ ٢٩

(٢) رواه ابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٣٠ ، رقم: ٢٢٩٠

قبلكم يؤخذ فيحفر له في الأرض فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيجعل بنصفين فما يصده ذلك عن دينه ويمشط بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم أو عصب فما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من المدينة إلى حضرموت لا يخاف إلا الله عز وجل والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[1]

وإتمام الأمر أي دين التوحيد النقي الواضح الخالص لله ، وأن الله سيلقي الأمن والأمنة على أهل هذه البلاد حتى يسير الراكب بين كذا وكذا لا يخاف إلا الله ويخاف على غنمه من الذئب وهو الخوف الطبيعي ، نظراً لوقوع الأمنة بسبب تحقيق توحيد الله والعقيدة الإيمانية الراسخة في قلوب العباد ، فأصبح كل فرد منهم مسؤلاً عن أمن المجتمع وأمن نفسه.

وينهى النبي ﷺ أتباعه وصحابته وأمته قاطبة عما يخل بالأمن الاجتماعي ويربط ذلك بعقيدة المؤمن ، وقد روي في ذلك عن الحسن قال جاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال أقتل لك علياً قال لا ، وكيف تقتله ومعه الجنود؟ قال الحق به فافتك به قال: لا ، إن رسول الله ﷺ قال: « إن الإيمان قيد الفتك لا يفتك مؤمن»[2]

فالمؤمن الحق ذو العقيدة الإيمانية الراسخة لا يفتك ولا يغدر ولا يبطش بخصمه أو عدوه حال غفلته ، وهذا دليل يؤكد أن العقيدة الإسلامية تربط بين سلامة العقيدة وسلامة الفرد والمجتمع في أية أذية ، وهذا هو الأمن الحق والسلام الواقعي لا المخادع.

وقد دعا الإسلامُ إلى كلِّ عمل يبعَث على الأمن والاطمئنان بين صفوفِ أفراده، وأمر بإخفاء أسباب الفزَعِ في المجتمع، فقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحلُّ لمسلم أن يروِّع مسلِمًا»[3] ولمَّا دخل النبيّ مكَّة عامَ الفتح، منح أهلَ مكَّة أعظمَ ما تتوُق إليه نَفوسهم، فأعطى الأمانَ لهم وقال «من دخَل دارَ أبي سفيان فهو آمن، ومن ألقَى السّلاحَ فهو آمن، ومن دخل المسجدَ فهو آمن»[4]

(١) رواه البخاري ٤/ ٢٤٤ ، رقم: ٣٦١٢

(٢) رواه أحمد في المسند ١/ ١٦٦ ، رقم: ١٤٢٦

(٣) مسند أحمد ٥/ ٣٦٢ ، رقم: ٢٣١١٤ ، وأخرجه أيضا أبو دواد ٤/ ٤٥٨ ، رقم: ٥٠٠٦.

(٤) صحيح مسلم: ٥/ ١٧٠ ، رقم: ٤٧٢٢

أما لزوم الجماعة المسلمة وعدم الخروج عليها وعلى الولي الحاكم فيها ما التزم أمر الإسلام وقواعده العامة ، فكلام أهل السنة والجماعة فيه أشهر من أن يذكر ، وقد ورد في ذلك عشرات الأدلة التي تربط عقيدة المسلم بهذا الأمر..

أهم قيم التدابير العقدية في تحقيق الأمن

هناك قيم عقدية فاعلة أثبتها الرب تعالى ، وهي أثر من آثار التزام الرؤية العقدية السليمة في تحقيق الأمن الشامل ، نحو ربط الأسباب بمسبباتها في فقه سنن الله الكونية والنفسية والاجتماعية ؛ لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، والتغيير من الأمن إلى الخوف أو من الخوف إلى الأمن لا بد أن يجري وفق هذه السنن ، ولا يمكن وعي هذه السنن إلا على أساس من الوعي بالعقيدة الإسلامية ، كما هي في القرآن والسنة، ومن أهم ما يعين على تحقيق الأمن الشامل القيم الضرورية الآتية :

أولاً: تحقيق التوحيد والمعتقد الحق في الرب تعالى

قدمنا في الفصول السابقة أهمية التوحيد وصفائه وتوجه العبد إلى ربه بكل جوارحه وصرف عباداته وسكناته وحركاته للرب تعالى ، وأثر ذلك في الأمن مما يؤدي إلى راحة النفس وصفاء الذهن ونقاء السريرة ،، وقد بين الله أنه بتوحيده وذكره تطمئن القلوب: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴿٢٩﴾﴾ (الرعد) فإذا آمن المسلم اطمأن قلبه وخشعت جوارحه وسلم كل من حوله من حجر وشجر وبشر ، ويرشد النبي الأعظم ﷺ إلى هذا الفعل الحسن بقوله: « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[1]

في وصف حال وجوارح العبد المسلم الذي سلم الناس من لسانه من تحريض أو غيبة أو نميمة أو فجور ، وكذا الجوارح الأخرى الفعلية التي تمشي وتبطش وتظلم وتنتهك حقوق الآخرين بغير حق ، وتحقيق العقيدة الصحيحة هي أكبر مكسب في المجتمع لأنها تقيه من الفتن والإحن وتنجيه في الآخرة.

(١) رواه البخاري ١/ ١٣ ، رقم:١٠ ، ومسلم ١/ ٦٥ ، رقم: ٦٥

ثانياً: الدعوة إلى الخير وتعليم الناس الشرع

حض الدين على ذلك الطريق الذي سلكه الأنبياء والمصلحون عبر التاريخ، إذ هو المأمن الأول للناس وقد امتدح الله من فعل ذلك: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴿٣٣﴾﴾ (فصلت).

فعمل الصالحات يقي من السيئات والذنوب والاعتداء على الآخرين، والدعوة إلى الخير في حد ذاته تقي من اجتناب المنكرات والتهاون بحقوق العباد والتجاوز عليهم، بل قد بين المولى أن ذلك من فروض الكفايات في المجتمع الإسلامي فقال جل من قائل: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴿١٢٢﴾﴾ (التوبة).

وهذا التعليم للشرع والدعوة إلى الخير يحقق ما أشرنا إليه في بحثنا وما أكدته فصول هذا البحث في شيئين أو أمرين مهمين هما: تحقيق التوحيد والاعتقاد الصحيح في نفوس الناس، والثاني: تحقيق الأمن والسلام الاجتماعي والانسجام الفكري والعقائدي بين أبناء البلد الواحد.

ثالثاً: إقامة الحق والعدل والإنصاف بين الناس

من أكبر الأمور التي تساهم إسهاماً كبيراً في استقرار المجتمعات ـ أياً كانت عقائدها وأديانها ـ مسألة إقامة الحق والإنصاف بين الناس، فيستوي القوي والضعيف والغني والفقير أمام النظام والشرع، والعدل والحق قيمة اجتماعية نفيسة تتطلع إليها نفوس البشر قاطبة، وتجمع العقول على اختلاف أفكارها أنها من القيم العليا التي تقوم عليها الدول وتقوى وتنتصر بها، وقد حث القرآن على هذه القيمة أشد الحث فقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ﴿٥٨﴾﴾ (النساء). وقال تعالى ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴿٨﴾﴾ (المائدة). وقالى تعالى ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴿٩٠﴾﴾ (النحل). وقال تعاليى أيضاً: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴿١٥﴾﴾ (الشورى).

قال تعالى ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿٩﴾﴾ (الحجرات).

إلى غير ذلك من الآيات التي تأمر بالحق والعدل، وكذا من السنة المطهرة، ولو ذهبنا نستدل على هذه المنزلة الكبرى والقيمة العظمى لطال بنا المقام، وقد ورد أن الرب سبحانه سمى نفسه «الحكم العدل»[١]

وقد حرم تعالى الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرماً كما ورد في الحديث: «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا»[٢]

فالعدل والحق به قامت السموات والأرض، وبه خلقت المخلوقات وإليه يعود الخلق جميعاً بعد البعث والنشور.

ولمردود العدل الاجتماعي أثر كبير في استقرار البلدان والمجتمعات، وقناعة الجميع بما رزقه الله من مكانة ومال وجاه وإذا رأى جميع أفراد المجتمع على قدم المساواة في أمورهم كلها، ذهبت سخائم[٣] أنفسهم وشعورهم بالمظلمة، ومن ثم لا مجال للاحتيال ولا للاختلاس ولا لأي نوع من أنواع الجنايات مهما صغرت ـ هذا من حيث الجملة ـ إذا لا يخلو مجتمع من هذه الأمور، لكن تحقيق القدر الأكبر من الأمن الاجتماعي مطلب مهم يسعى الجميع لتحقيقه والقيام بالعدل له القدر الفاعل في ذلك.

رابعاً: إشاعة ثقافة الحرية وحق الاختيار

ونعني بذلك عدم الإجبار في كثير من القضايا التي يمكن أن يؤخذ فيها بآراء المجتمع من أهل الحل والعقد، وإرضاء السواد الأكبر من الناس في الأمور التي تهم

(١) رواه الترمذي ٥/ ٥٣٠، رقم: ٣٥٠٧، وابن حبان ٣/ ٨٨، رقم: ٨٠٨، وصححه الأرناؤوط بهامشه

(٢) رواه مسلم ٤/ ١٩٩٤، رقم: ٥٥

(٣) السُّخام: الفحم، لغة يمانية. والسَّخَم: السواد، سخَّم الله وجهه، أي سوّده، يتكلّم بها عرب الشام. والسَّخيمة: الحقد في القلب، والجمع سخائم، والرجل مسَّخم، إذا كان في قلبه سَخيمة. انظر (جمهرة اللغة، لابن دريد ص ٣١٥، دار الفكر)

المجتمع ، أما الحرية فالمراد بها الحرية المنضبطة وفق الشرع والأعراف الاجتماعية المرعية شرعاً ، وكذا حق حرية التعبير عن الرأي وحق الاختيار في الأمور الحياتية العامة دون إكراه أو إجبار . وكل ما ذكرناه آنفاً يتفق وقواعد الإسلام العامة ونصوصه وأنظمته التي سنها الشارع الحكيم ، وهو يتفق كذلك ومقاصد الشريعة الغراء ، يقول المولى في حق اختيار الدين والمنهج الذي يعتقده الفرد : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴿٢﴾﴾ (الإنسان).

قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴿٢٩﴾﴾ (الكهف). ﴿كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاء ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾﴾ (المدثر). ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا﴿٢٩﴾﴾ (الإنسان).

وهذه الحرية في اختيار العقائد والدين وهي المسألة الأولى ـ غالباً ـ في حياة الناس، فما بالك بالأمور الأخرى التي هي أقل أهمية لدى الإنسان من الدين من الأفكار والموضوعات التي لا يزال البشر يختلفون حولها ، ولذا فإن حرية الاختيار هي من أهم وأرقى وأصدق فكرة إنسانية تعطي البشر كرامتهم وحقهم في الاختيار ، ومن هنا كانت الأهمية في أنها تقنع الإنسان بل والمجتمعات بقناعة تامة لا يشوبها شائب بأنهم فعلوا ما أرادوا بحرية اختيارية وشفافية مطلقة ، فلا يكون بعد ذلك مجال للنقمة والغضب والانتقام وإحداث ما لا تحمد عقباه مما يتخوف منه وتخشى عواقبه من اضطرابات مضادة لما تنشده المجتمعات من الأمن والطمأنينة.

خامساً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من أهمية هذه الشعيرة الإسلامية الكبيرة أن الله تعالى أكدها في القرآن ، ونبهت إليها السنة النبوية الكريمة: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴿١٠٤﴾﴾ (الأنعام).

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴿١١٠﴾﴾ (الأنعام).

وقال عن بعض أهل الكتاب مثنياً عليهم لاتصافهم بالإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴿١١٤﴾﴾ (الأنعام).

وعن حذيفة عن اليمان: عن النبي ﷺ قال «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم» قال أبو عيسى: هذا حديث حسن [1]

إلى غير ذلك من الأدلة المتوافرة التي تحث عليها، ويقوم الفرض الكفائي الذي يسقط التبعة والإثم عن بقية المجتمع، وإلا يتحقق فينا قول الباري جل شأنه:﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴿١١٧﴾﴾ (هود) ولم يقل وأهلها صالحون؛ لأن مجرد الصلاح ليس كفيلاً بالنجاة من العقوبة الإلهية الرادعة. والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر بين المسلمين، إنما هم في الحقيقة يقومون بمهام الرسل في أقوامهم وذويهم، فبقدر الاستجابة لنصحهم تكون الحجة والنجاة، والعكس بالعكس، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴿٥٩﴾﴾ (القصص).

إن انعدام النصح بين المسلمين سمة من سمات اليهود، ومعرة من معراتهم الخالدة، فقد كانت مواقفهم في الصيد يوم السبت عن طريق الحيلة مشهورة، حتى أعلن الفسقة منهم بصيده؛ فنهضت فرقة منهم ونهت عن ذلك، وجاهرت بالنهي واعتزلت، وفرقة أخرى لم تعص ولم تنه، بل قالوا للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيدًا﴿١٦٤﴾﴾ (الأعراف) فلما لم يستجب العاصون أخذهم الله بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون، فنص الله على نجاة الناجين بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴿١٦٥﴾﴾ (الأعراف) وسكت عن الساكتين. إذاً فهذه المنزلة العليا لها أكبر الأثر في استتاب الأمن ونشر الدعة واستقرار الأوضاع الاجتماعية، لا ريب ولا شك في ذلك.

(١) رواه الترمذي ٤/ ٤٦٨، رقم: ٢١٦٩، وأحمد في المسند ٥/ ٣٩٠، رقم: ٢٣٣٦٠

سادساً: تعليم المجتمع ثقافة التسامح

من بدهيات مبادئنا التي ربينا عليها أن ديننا دين السماحة ، فهو الدين الذي كفل حق الاعتقاد للآخرين ولم يجبرهم على تبديل دينهم والانسلاخ من عقيدتهم ، أليس رسول الله ﷺ هو القائل: «بعثت بالحنيفية السمحة»[1]

وروي عن عبادة بن الصامت أنه قال: «يا نبي الله أي العمل أفضل، قال: «الإيمان بالله و التصديق به و الجهاد في سبيله» قال أريد أهون من ذلك يا رسول الله قال: «السماحة و الصبر»[2].

لقد رسخ الإسلام في نفوس المسلمين أن الديانات في أصلها سواء هي توحيد الله تعالى ، ودعا أتباعه إلى الاعتراف بالأنبياء السابقين جميعاً إذ لا يتم إيمان المسلم إلا بهم جملة ، ومن كفر بأحدهم كفر بالآخرين ..

ورسَّخ الإسلام من أجل التسامح في قلوب المسلمين أنَّ الأنبياء إخوة، لا تفاضلَ بينهم منْ حيث الرسالة، ومن حيث الإيمان بهم، فقال القرآن الكريم : ﴿قُولُواْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴿١٣٦﴾﴾ (البقرة).

فلا تفريق بين أحدٍ منهم في الإيمان بهم على الإطلاق، فالكلُّ في نظرنا أنبياء، ونحن له مسلمون.. وهو الذي دعا إلى عدم الإكراه في الدين وإلى حرية بقاء كل صاحب دين على دينه مع وجوب إتاحة الدعوة لهؤلاء الناس البعيدين عن الدين الحق.. وعلم الدين الحنيف أتباعة إلى احترام دور العبادة على اختلاف أنواعها ما دام أصحابها يدّعون عبادة الله ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴿٤٠﴾﴾ (الحج).

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٢٦٦ ، رقم: ٢٢٣٤٥
(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٧٢٥ ، رقم: ٦٦٢٨

أليس الإسلام هو الذي حث على حسن ضيافة أهل الكتاب والأكل من طعامهم والزواج من نسائهم ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ﴿٤٠﴾﴾ (الحج)، إن أسس الدين الإسلامي قائمة على أصول واقعية تعامل الناس كما هم وتدعوهم باللطف واللين فإن استجابوا فالحمد لله وإن لا فلا إكراه في الدين ، فلكل رب يحاسبه -كما ذكرنا آنفاً- على قواعد الشريعة: فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ، ولا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، وهذا الأمر له أهمية كبيرة في حياتنا الدينية والدنيوية ليعيش الإنسان حياة الاستقرار والفضيلة ولينعم هو أولاً بالراحة الجسدية والنفسية في تعامله مع جميع الناس ، بل كل ما حوله من مخلوقات ، ولا غرو بل لا ريب أن الأمن يستقر والتقدم الديني والدنيوي في ظل هذا الفهم الحق لروح الدين ومنهاج العقيدة السليمة.

سابعاً: التركيز على إشاعة ثقافة الحوار

ينبغي إذا أردنا أن نعيش في مجتمع مترابط أن يكون الحوار سبيلنا لتحقيق غايتنا في الرقي بأحوالنا وأحوال مجتمعنا ، وقد بين علماء الشرع والتربية ، أن الحوار هو سبيل الأمم الراقية القوية الغالبة ، تسلكه في كل أوقات حياتها في البيت والمدرسة والعمل والأفراح والأتراح ، حتى تشربت تلك المجتمعات ثقافة الحوار وأصبحت تعيشه واقعاً معيشاً تمارسه بتلقائية وشفافية دون رسميات أو تكلفات.

وقد حث الدين على ثقافة الحوار والتفاهم الحسن في مواضع كثيرة ومتنوعة ، ويمكن الاستدلال على ذلك بأدلة كثيرة منها ، حوار الجبار خالق السموات والأرض مع ملائكته الذين لا يعصونه فيما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحونه وله يسجدون: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَـؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴿٣٢﴾﴾ (البقرة).

وكـذا حـواره جل جلاله مع عدوه إبليس وهو قادر سـبحانه على إهلاكه ، فقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّـنَ السَّـاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْـجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَـا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَـنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَـمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَـالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾﴾ (الأعراف).

وكـذا حواره سـبحانه مع أنبيائه وهـم عبيده من البشر الضعفـاء: ﴿وَإِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَـى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ قَالَ سُـبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿١١٦﴾﴾ (المائدة) ، إلى غير ذلك من الآيات البينات الدالة على هذا السلوك الحضاري الكبير.

أما من السـنة فالأدلة كثيرة وفيرة وسـنضرب لذلك بمثال ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق: حدثني سليم بن عامر الخبائري قال سمعت أبا أمامة يقول : أتى رسول الله ﷺ غلام شـاب فقال يا رسـول الله أئذن لي في الزنا فصاح به الناس وقالوا مه فقال النبي ﷺ «ذروه ادن فدنا حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: أتحبه لأمك قال لا قال فكذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ، أتحبه لابنتك قال لا ، قال وكذلك الناس لا يحبونه لبنانهم أتحبه لأختك قال لا ، قال فكذلك الناس لا يحبونه لأخواتهم ، أتحبه لعمتك قال لا ، قـال فكذلـك النـاس لا يحبونه لعماتهم ، أتحبه لخالتك قـال لا قال وكذلك الناس لا يحبونه لخالاتهم فاكره لهم ما تكره لنفسك ، وأحب لهم ما تحب لنفسك ، فقال يا رسول

الله ادع الله أن يطهـر قلبـي فوضع النبـي ﷺ يده على صدره فقال اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه قال فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء »[1]

والأدلة في هذا الباب كثيرة والإشارة إلى بعضها فيه غنية عن استقصاء جميع ذلك.

إن الحوار الفعال هو الذي ينطلق من قاعدة المجتمع لا أثر للرسميات فيه ، هو الذي تمارسه النخب من علية المجتمع ومن لف لفهم من رجال التربية والتعليم ورجال الفكر والثقافة ورجال الأدب والعلم والفقه ، ومهمة السـياسي ذي السـلطة هي دفع وإزجاء ذلك الحوار والتشجيع عليه دون تدخل كبير فيه ، وما لم يصل المجتمع إلى هذه الدرجة العليا من ثقافة الحوار فسيضل النقص حاصلاً وستبقى الأمور تتداول في كواليس محجوبة عـن المجتمـع ، وربـما نتج عن ذلك عواقب وخيمة ـ أو على أقل تقدير ـ يبقى في نفوس أصحاب تلك الحاجات الذين لم يجدوا من يحاورهم ويقنعهم ما فيها من غيض وحنق، وتحقيق الأمن الشـامل إنما يكون بعمل القواعد الشـاملة التي تحققه ، والحوار مبدأ هام يستل ما في النفوس ويزيل ما علق بالعقول من شبه.

ثامناً: إزالة كل ما يدعو إلى التفرقة الاجتماعية

من بدهيات القول أن ديننا الحنيف دين وحدة واجتماع كلمة على ولي الأمر الحاكم المسلم ، وأن الدين قد دعا إلى تعارف الشعوب والقبائل والأمم ، ولكنه أخبر مع ذلك أن خـير النـاس هو التقي فقال: ﴿ يَا أَيُّهَـا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَـرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (الحجرات).

فالفضل في ديننا للتقى لا للنسب والجاه والمال وإلا لما خرج الجبابرة وذوو الأنساب من الدين واستحقوا النار ، ودخل الفقراء من غير ذوي النسب الجنان بإيمانهم وتقواهم. وقد شدد النبي ﷺ على نبذ وكراهية كل أمر يدعو إلى العنصرية أو الفخر الجاهلي القبلي ، فقال لأحد أصحابه لما فخر على سيدنا بلال: «يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية،

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين ٢/ ١٣٩ ، رقم: ٢/ ١٠٦٦

إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم»[1]

وفي ذات الأمر ورد عن زيد بن سلام عن أبي سلام قال: قال أبو مالك أن رسول الله ﷺ قال : «إن في أمتي أربعاً من الجاهلية ليسوا بتاركيهن الفخر بالأحساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ، فإن النائحة إن لم تتب قبل أن تموت فإنها تقوم يوم القيامة عليها سرابيل من قطران ثم يعلى عليها درع من لهب النار»[2]

والمجتمع الواعي المدرك لمهامه في ترسيخ الأمن لا يغفل هذا الأمر ، فإن إحداث الاضطراب الاجتماعي يبدأ من حادثة صغيرة تمارس فيها عملية عنصرية ، وعند حدوث ذلك قد يحصل ما لا تحمد عقباه من الاضطرابات الخطيرة التي تهدد كيان ووحدة المجتمع، وعليه فلا بد من توعية شاملة بخطورة سلوك هذا المسلك المشين المضاد للشرع والفطرة والعقل ، ولا بد أن تسن القوانين والأنظمة وتفعل الشريعة الغراء في عقاب من يمارس هذه الآفة المهلكة ليعيش الناس في أمن وعيد رغيد تحت ظل الشريعة الإسلامية الغراء.

تاسعاً: ترسيخ الأمن الفكري وحقوقه

يخلط بعض الناس في الكلام على الأمن الفكري ويظن أنه إلزام الناس على قول واحد وفكر واحد ، وبين من يعتقد أنه يفعل ويفكر ويتكلم بماء شاء ، وكلا الأمرين خطأ فادح وظنون غير سوية ، فالقول الأول يسوق الناس سوقاً إلى الاتباع الأعمى والتقليد الأجوف وإلى الخوف والتوجس وموت الإبداع ، وهو ما يسميه بعض المفكرين الحجر الفكري، والقول الثاني يسوق الناس إلى اضطراب أفكار المجتمع وتشتتها واتباع كل ناعق فيما يقول وفيما يدعو إليه وقد يجر هذا إلى عواقب وخيمة لا تحمد عقباها ، والحقيقة أن بين الأمن الفكري والخوف الفكري أو الحجر الفكري خيط رفيع لا يعرفه كثير من الناس ، والأمن الفكري ينبثق من شيئين مهمين ، أولهما: محور التعليم التربوي . وثانيهما

(١) رواه البخاري ١/ ٢٠ ، رقم: ٣٠

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٤٣ ، رقم: ٢٢٩٥٥

المحـور الإعلامـي الثقافي ، ويجب على الأمة أن لا تنزلق في انحدارات التغريب والتبعية لثقافات غريبة على ديننا ومجتمعنا وثقافتنا.

إن الأمن على العقول لا يقل خطراً عن أمن الأرواح والممتلكات ، فكما أن للأموال والممتلـكات لصوصـاً يهتبلون الفرص لسرقتهـا ، فإن للعقول لصوصـاً محترفين خبثاء مخططـين، يتربصون بالمسـلمين الفرص لسرقة عقول شـبابهم وبناتهـم ، ومن ثم دفعهم إلى وجهـة التطـرف والغلو والتكفـير أو إلى وجهة التغريب والبعد عـن دينهم وتراثهم وحضارتهم .

ومما تجدر إليه الإشـارة في هذا السـياق أن رجل الأمن الأول في هذه البلاد سـمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود ، قد أشار في لقائه مؤخراً بطلاب وأساتذة الجامعة الإسـلامية بالمدينـة المنـورة هذا العام ١٤٢٩ هـ إلى هذه المسـألة الهامـة ، وأكد على أهمية الأمن الفكري ودعا إلى تحقيقه وترسيخه في المجتمع.

عاشراً: إعداد القوة

لقد فرض الإسـلام على الأمة الإسـلامية الإعداد بكل ما تشـمله كلمة إعداد من معنى، وأن تبذل الأمة فيه أقصى الجهود الصادقة،ولم تغفل الآية الإعداد وقت السـلم، ووقف القتال، حتى تكون الجيوش الإسلامية أشد فعالية، وأكثر قدرة قتالية ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُـم مَّا اسْـتَطَعْتُم مِّن قُـوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُـونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُـمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِـمْ لاَ تَعْلَمُونَهُـمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَـبِيلِ اللّهِ يُـوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴿٦٠﴾﴾ (الأنفال).

فالله سبحانه وتعالى أمر المؤمنين بالاستعداد لدفع العدوان وحفظ الأنفس، والحق، والفضيلـة، ويكـون ذلك بإعداد المسـتطاع مـن القوة، ويختلف هـذا باختلاف الزمان ، والمكان، والواجب على المسـلمين في هذا العصر، صنع المدافع والطائرات ونحو ذلك ، كما يجب عليهم علم الفنون والصناعات، التي يتوقف عليها صنع هذه الأشياء وغيرها من القوى ، وقد أثنى الله على المؤمنين الذين يعبدونه حق عبادته ووعدهم بالخير والأمن والقوة فقال: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴿٥٢﴾﴾ (هود).

وفي السنة المطهرة ما يدل على فضيلة القوة وأنها من أميز سمات المؤمن ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، استعن بالله ولا تعجز فإن غلبك أمر فقل: قدَّر الله وما شاء فعل، وإياك واللو فإن اللو يفتح عمل الشيطان»[1]

يرشدنا الحديث إلى طلب القوة في الإيمان والعمل والإرادة والحسم، وأن يستغل المرء قوته في طاعة الله ومساعدة الآخرين، وأن المؤمن فيه خير ولو كان ضعيفاً، وألا يكون كسولاً أو عاجزاً عن فعل الخير.

ويراد بالقوة هنا في هذا الحديث: عزيمة النفس الصادقة، وهمتها العالية، وإرادتها المتينة، وذكاؤها الوقَّاد، وذلك بالطبع نابع من صحة البدن وسلامته من العلل والأمراض.

إن واجب المجتمع المسلم أن يهيئ نفسه بصفة دائمة ومستمرة إلى ضرورة الاستعداد، حيث إن هذا الاستعداد والإعداد، جزء من العقيدة، وركن من العبادة، وقد ربط الله بتحقيقه سعادة المسلمين في الدنيا، ونجاتهم في الآخرة، وإن مجتمعنا المسلم يملك من الطاقات البشرية، والعقول المفكرة، والإمكانيات المادية، والمواقع الاستراتيجية ، ما يمكنه من أن تكون أعظم قوة في الأرض، لا لتضرب في عتو وتجبر، ولكن لتحفظ نفسها ومجتمعاتها، وتقيم العدل بين الناس، وتنشر الأمن والاطمئنان.

حادي عشر: تربية المجتمع على السلوك الحضاري الراقي في التعامل

تختلف الشعوب والثقافات في تعريف وحقيقة السلوك الحضاري الراقي ولاسيما في تفاصيل ذلك السلوك ولكنها -في الجملة- تتفق على المعالم العامة لهذا السلوك ، ويتمثل السلوك الحضاري في سلوكيات ومواقف يقوم بها الإنسان المنتمي إلى المجتمع الحضاري ومن ثم بالسلوك الحضاري يمكن قيادة المجتمع المحيط بنا والذي نعيش فيه نحو التطور والأفضل ، ويبدأ السلوك الحضاري داخل الأسرة فيتمثل في احترام الكبار وتقدير الصغار وعدم السخرية من الأفراد المعاقين ذهنياً أو عضوياً ، ومحاولة التماسك

(١) رواه مسلم ٨/ ٥٦ ، رقم: ٦٩٤٥ ، والإمام أحمد في المسند ٢/ ٣٦٦ ، رقم: ٨٧٧٧ ، وحسنه شعيب الأرنؤوط ، وابن حبان ١٣/ ٢٨ ، رقم: ٥٧٢١ .

والتعاون والتفاهم وذلك عن طريق النقاش والحوار وتبادل الآراء واحترام الرأي المخالف وحرية التعبير بالحد المشروع دون اتهام بالباطل أو نكوص عن حق.

وفي ديننا القواعد العامة للسلوك الحضاري ويمكننا أن نقول إن أهم معالم السلوك الحضاري الإسلامي: أن يتوخى المسلم مكارم الأخلاق ومعاليها، ويحذر من سفاسفها. يقول الرسول الكريم: « إن الله يحب معالي الأخلاق، ويكره سفاسفها»[١]

وقال ﷺ: « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢] ، فجعل إتمام مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق: هدفًا لبعثته، وغاية لرسالته، وكفى بذلك تنويها وتشريفا لقيمة الأخلاق في دعوته.

قال العلماء: ومكارم الأخلاق أو صالحها ما به صلاح الدين والدنيا والآخرة.

ويدخل في مكارم الأخلاق حسن الخلق والمعاشرة، الذي دعت إليه السنة، وتوافرت في فضله الأحاديث، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: « أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا»[٣] ، لقد أكد الدين على أن المؤمن يجب أن يربط بين العبادة والسلوك، ولقد أمرنا الله ورسوله بالإحسان للجار، والعلاقة الطيبة معه فقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[٤]

وقال: «ما آمن من لم يأمن جاره بوائقه»[٥] ، وقال «لا يؤمن من بات شبعان وجاره جائع»[٦] ، إلى غير ذلك من القيم الحضارية الأخلاقية العليا كحفظ الجار وإغاثة الملهوف وتقدير الكبير ورحمة الصغير والعطف على الضعفاء والصدقة على الفقراء والمساكين

(١) رَواه الطبراني في الكبير ٣/ ١٣١ ، رقم: ٢٨٩٤ ، والحاكم عن سهل بن سعد: صحيح الجامع الصغير ١٨٨٩

(٢) رواه البيهقي في الكبرى ١٠/ ١٩١ ، رقم: ٢٠٥٧١

(٣) روه أحمد ٢/ ٢٥٠ ، رقم: ٧٣٩٦ ، والحاكم في المستدرك ٣/ ١ وقد صححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٤) رواه البخاري ٥/ ٢٢٤٠ ، رقم: ٥٦٧٣ ، ومسلم ١/ ٦٨ ، رقم: ٤٧

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٨٢ ، رقم: ٣٧٠٠ ،

(٦) رواه ابن أبي شيبه في المصنف ٦/ ١٤٦،رقم: ٣٠٣٥٩

وحماية البيئة ومسالمة الجميع من بشر وشجر وحيوان ،والكلام على السلوك الحضاري يطول ، ونكتفي بما تقدم من الإشارة إلى هذه القيمة الأخلاقية الكبرى التي بها يتم الأمن وينعم المجتمع ويرفل في ثوب السلام والوئام.

ثاني عشر: تنمية ثقافة حقوق الإنسان

من الأمور المتفق عليها عند البشر أن لكل إنسان حقوق وعليه واجبات ، ولا شك أن كرامة وحرية وكسب الإنسان وغير ذلك من أهم ما يميز الإنسان عن غيره ، ولا يختلف اثنان أن كرامة الإنسان حق من حقوقه التي كفلها الإسلام للإنسان، ومن ثم ينظر الإسلام إلى حقوق الإنسان كنعمة مستمدّ من إرادة الله سبحانه وتعالى وليس فضلا يمنحه المجتمع للإنسان. وذهب الإسلام إلى ما هو أبعد من ذلك فجعلها من الواجبات الشرعية الملزمة التي يسأل عنها الحاكم والمحكوم؛ ولقد كرم الله الإنسان، واصطفاه على سائر خلقه وجعله سيدًا في الأرض وأمده بالوحي السماوي: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء).

وقصارى القول دون الإسهاب والإطناب في شرح هذا الأمر أن الحقوق التي ركز الدين على العناية بها كثيرة منها: حق الحياة وسلامة البدن والعقل والعرض والمال والأهل والأدلة الشرعية من الكتاب والسنة على ذلك وفيرة عديدة تدل في جملتها على حماية الإنسان، وحفظ الأنفس والأعراض والأموال وعدم التهور في غشيان المهالك، والحفاظ على عقله بتحريم الخمر، وما يذهب العقل، حرصاً على سلامة بدنه، وعقله، وعدم السخرية منه، أو شتمه، أو مناداته بلقبه الذي لا يحبه. ومن أهم تلك الحقوق:

١ ـ حرية الإنسان

من أبرز ما يميز الإنسان هو حقه في أن يكون حراً في إرادته مسؤولاً عن أفعاله وأقواله ، وهذه منحة إلهية للبشر ، وقد وصف الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان بأنه الخليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴿٣٠﴾﴾ (البقرة) ، وهذا الوصف له مدلولاته من حيث ما ذكر من الكرامة، والاحترام، والحق

الإنساني، والتميّز في هذا المخلوق، الذي فُضل على غيره من المخلوقات مما يعكس ما يتمتع به الإنسان في ظل الإسلام من الكرامة، والحرية، والرفعة، مقارنة بما قررته الاتفاقيات الدولية وغيرها لحقوق الإنسان.

٢ ـ العدل

العدل بين الناس من أوجب الواجبات التي شدد عليها الدين ، وتعد المساواة مبدأً أصيلاً في الشرع الإسلامي، وهذا بخلاف الحال في الحضارات السابقة للإسلام، حينما كانت النظرة للإنسان حسب جنسه أو لونه أو غناه أو فقره أو قوته أو ضعفه أو حريته أو عبوديته، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين، من الطبقات المميزة، بل إنّ بعض المجتمعات إلى اليوم ، كان ولا يزال يعرف طائفة المنبوذين، وكان محرماً على أفراد الطبقة، أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت مَلَكاتهم تتيح ذلك. وجعل الإسلام معياراً للتفاضل يتساوى أمامه الخلق جميعاً على اختلاف الأجناس والألوان، والحرية والعبودية، إنه معيار التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ..﴿١٩﴾﴾ (الحجرات).

٣ ـ التكافل الاجتماعي

مما يزيل مشكلة عدم الأمن والاضطراب أن يكون هناك نظام اجتماعي فعال يكفل اليتيم ويساعد الضعيف ويمنح المعدوم ويعين على نوائب الدهر ، وقد أولى الإسلام هذا الجانب اهتماماً كبيراً ومن مظاهر هذا الاهتمام:

أ ـ أداء الزكاة : وهي أحد أركان الإسلام حق واجب في المال إذا بلغ مقداراً معلوماً، في وقت معلوم بنسبة معلومة. في كل أنواع المال، من الذهب، والفضة، والنقود، والثمار، والأنعام، وعروض التجارة.

ب ـ زكاة الفطر: وهي من الفروض الواجبة قبيل عيد الفطر تعود على المحتاجين ليستغنوا في ذلك اليوم، فيشعروا بنعمة العيد كغيرهم من الناس.

ج ـ نفقة الأقارب: فالنفقة لازمة للقادر على أقاربه، من زوجة، وأبناء، وآباء وإخوة وبقية الأرحام والمحتاج منهم للنفقة.

د ـ الصدقات: وهي عطاء اختياري من الأغنياء للفقراء دون منّة أو طلب مكافأة، إلاّ المكافأة من الله العليم الحكيم فقط.

هـ ـ التكافل في أحكام الديّات: حيث يتشارك أقرب العصبة إلى القاتل في دفع الدية إلى ورثة المقتول عند الخطأ أو طلب الدية. والدية هنا تمثل ضماناً من المجتمع لورثة المقتول، فلا يضيع دم إنسان هدراً في مجتمع مسلم.

إن حقوق الإنسان في مجتمع اليوم من صنع البشر وهي في الإسلام من رب البشر الذي يعلم ما يصلحهم وما يفسدهم ، فهي تشريعات ربانية ، لا خلل فيها ولا نقص ولا تقصير ولا ضيق نظر ، فهي متوازنة ، وتراعي مصلحة الفرد -كفرد في مجتمع - وتراعي مصلحة المجتمع .

وكذا أنها شاملة إذ الإسلام يتميّز عن غيره بالشمولية ، ونذكر هنا بعض حقوق الإنسان التي لم يذكرها مشرعو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ،كحقه في الحياة وسلامة البدن والعقل والعرض والمال والأهل ، وكحفظ الدين لحقوق الأيتام وحقوق الوالدين وحقوق الجار وحقوق الميراث وحقوق عامة الناس في العيش والتجارة والصناعة والأمن الاجتماعي ، وحقوق البيئة وحقوق الحيوان ، وحق الشخص في أملاكه ودمه وتجارته وحق دفاعه عن نفسه ، وقد أفاض الإسلام في هذه الأمور ، ومن الإسهاب الاستدلال على كل نوع من أنواع هذه الحقوق ويكفي أن أغلب الناس يمارس هذه الحقوق ويعرفها المسلم وغير المسلم ، فهي حقوق لا تخضع لاجتهادات الجماعة فتختلف من زمان لزمان أو من مكان لمكان بل حقوق ثابتة بالنص يجريها الحاكم وينافح عنها بما يتفق والزمان والمكان.

ثالث عشر: التزام طاعة ولي الأمر المسلم

يستدل أهل العلم على وجوب طاعة أولي الأمر من المسلمين بأدلة كثيرة صريحة في هذا الأمر ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ ﴿٥٩﴾﴾ (النساء).

فقيد الرب تعالى طاعة ولي الأمر في طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ، وورد في الحديث: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[١]

وقال عبادة بن الصامت (رضي الله عنه): «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله قال إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان»[٢]

وقد ذكر أهل العلم أن أولي الأمر صنفان من الناس أحدهما العلماء والثاني الأمراء، فلا بد للأمة من علماء يقودونها إلى شريعة الله بياناً وإيضاحاً تعليماً وتربية ولابد للأمة من أمراء يطاعون في غير معصية الله وإذا لم يكن للأمة علماء ولم يكن للأمة أمراء صارت في جهل عميق وفوضى شديدة وفسدت الأمة ولهذا قال النبي ﷺ: «لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلا أمروا عليهم أحدهم»[٣]

وقال ﷺ: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليأمروا أحدهم»[٤]، فأوجب النبي ﷺ التأمير في السفر مع أنه اجتماع عارض غير مستقر فكيف بالاجتماع الدائم المستمر المستقر، إذاً لابد للأمة من ولي أمر يبين لها الحق وذلك هم العلماء، ولابد للأمة من ولي أمر يلزمها بتنفيذ شريعة الله ويسوسها بما تقتضيه المصلحة[٥] ولهذا جاءت هذه الشريعة الكاملة التي أوجبت الولاية لقيام الناس بالعدل جاءت بواجبات علي الولاة وعلى الرعية وألزمت كل واحد منهما للقيام بهذه الواجبات حتى يستتب الأمن وحتى يحل النظام والتآزر بين الحاكمين والمحكومين.

كما أن طاعة أولي الأمر من العلماء والحكام لها فوائد عديدة ومميزات كثيرة ومنها:

ـ حاجة الأمة إلى طاعة ولي الأمر لما في ذلك من تحقيق لمصالحها الدينية والدنيوية

(١) رواه البخاري ٦/ ٢٦١٢، رقم: ٦٧٢٥، وأحمد في المسند ٢/ ١٤٢، رقم: ٦٢٧٨
(٢) رواه البخاري ٦/ ٢٥٨٨، رقم: ٦٦٤٧، ومسلم ٣/ ١٤٦٩، رقم: ١٧٠٩.
(٣) رواه أحمد في المسند ٢/ ١٧٦، رقم: ٦٦٤٧. وصححه شعيب الأرنؤوط بهامشه
(٤) رواه أبو داود في سننه ٢/ ٤٢، رقم: ٢٦٠٨، وصححه الألباني
(٥) انظر خطبة للشيخ العلامة ابن عثيمين (حقوق ولاة الأمر) من موقعه على الشبكة.

ـ التماسك والتلاحم بين الراعي والرعية من ثمرات الطاعة ، ما ينعكس على الدولة هيبة وقوة.

ـ من فوائد الطاعة تربية النفس وترويضها على الكثير من الأمور التربوية لأفراد الأسرة والمجتمع.

الخاتمـــــة

وقد خلصت إلى نتائج هامة منها:

١ ـ أن العقيدة والأمن أمران لازمان لأي مجتمع والانسجام بينهما أهم مطلب يسعى لتحقيقه المجتمع الواعي للوصول لما يصبو إليه.

٢ ـ أن سلامة الاعتقاد من الغلو والتطرف أو الانحلال والإلحاد أهم ما ينشده المجتمع لاستقراره وتوافق أفراده ، فسلامة العقيدة هي الركيزة الأولى لترسيخ الأمن.

٣ ـ تأكيد الإسلام في ملامحه العامة وأدلته في الكتاب والسنة وإجماع أهل العلم على وجوب المحافظة على الأمن وسلامته من أي شيء يعكر صفوه

٤ ـ أن اختلال العقيدة الصحيحة السليمة يؤذن باختلال الحالة الأمنية وكذا اختلال الأمن يؤذن بزوال العقيدة السليمة ، فبينهما ارتباط وثيق. وزوالهما ينذر بزوال كل نعيم.

٥ ـ أن الإسلام دين التوسط والوسطية في عقائده ومعاملاته وشرائعه ، وهو أكبر مكسب يؤدي لاستقرار الأمن.

٦ ـ أن العقيدة السليمة لها ثمرات دنيوية وأخروية فمن أهم ثمراتها الدنيوية استقرار النفوس وأمنها ، وفي الآخرة دخولها جنة ربها والفوز برضوانه.

٧ ـ أننا إذا أردنا تحقيق الأمن الشامل فلا بد من توفير أسبابه من ذلك:

ـ تحقيق التوحيد والمعتقد الحق في الرب تعالى.

ـ الدعوة إلى الخير وتعليم الناس الشرع.

ـ إقامة الحق والعدل والإنصاف بين الناس

ـ إشاعة ثقافة الحرية وحق الاختيار

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ـ تعليم المجتمع ثقافة التسامح

ـ التركيز على إشاعة ثقافة الحوار

ـ إزالة كل ما يدعو إلى التفرقة الاجتماعية كالعنصرية والقبلية ونحو ذلك

ـ ترسيخ الأمن الفكري وحقوقه

ـ إعداد القوة

ـ تربية المجتمع على السلوك الحضاري الراقي في التعامل

ـ تنمية ثقافة حقوق الإنسان

ـ التزام طاعة ولي الأمر المسلم

المراجـــع

ـ لسـان العـرب ، محمـد بن مكرم بـن منظور الأفريقي المـصري، دار صادر – بيروت ، الطبعة الأولى.

ـ القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي.

ـ مختار الصحاح ، احمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة جديدة ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، تحقيق : محمود خاطر.

ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر.

ـ تفسير القرآن العظيم ، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء.

ـ معالم التنزيل ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد.

ـ الـدر المنثـور ، عبـد الرحمن بن الكـمال جلال الدين السـيوطي ، دار الفكر – بيروت ، ١٩٩٣م.

ـ الجامـع الصحيح المختصر ، محمد بن إسـماعيل البخـاري ،تحقيق: مصطفى البغا ، دار ابن كثير (بيروت) ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ـ صحيح مسـلم ، لمسـلم بن الحجاج النيسـابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي(بيروت) ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م.

ـ الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله.

ـ سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، حسين الأسد ، مكتبة الرسالة ، ط. الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

ـ مسـند أبي يعلي ، أحمد بن علي أبو يعلي الموصلي ، ت: حسـن سـليم أسـد ، دار المأمون للتراث ، ط . ١٤٠٤هـ.

ـ المستدرك على الصحيحين ، محمد بن عبد الله الحاكم ، ت: مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، ١٤١١هـ (بيروت).

ـ الجامع الصحيح ، محمد ين عيسـى الترمذي ، مراجعة: أحمد محمد شـاكر ، وآخرون ، دار إحياء التراث الإسلامي (بيروت).

ـ السنن ، سليمان بن الأشعث السجستاني ، مراجعة:محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .

ـ صحيح ابن خزيمة ، محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ت: محمد الأعظمي ، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ.

ـ سنن ابن ماجه ، للإمام محمد بن يزيد القزويني البغدادي ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر (بيروت) .

ـ البداية والنهاية ، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء ، مكتبة المعارف – بيروت

ـ تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري أبو جعفر ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ.

ـ تاريخ الخلفاء ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، مطبعة السعادة – مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد

ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج ، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٥٨هـ.

ـ مسند الشهاب ، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٦ م، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام ، محمد ناصر الدين الألباني ،المكتب الإسلامي، بيروت ، الطبعة : الثالثة – ١٤٠٥هـ.

ـ مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤م، تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي.

ـ السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، مكتبة الباز (مكة) ١٤١هـ ١٩٩٤م.

ـ المصنف ، لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبة ، ت: كمال الحوت ، مكتبة الرشد ، الرياض ١٤٠٩هـ.